سلسلةُ العُلمَاءِ (١٠)

خَادمُ الرَّسُولِ

أَنسُ بنُ مَالكٍ

إعداد

أحمد عبد الفتاح

تحت إشراف

عاطف عبد الرشيد

أَنسُ بنُ مَالك ﷺ، صَاحبُ رسُولِ الله ﷺ وخَادمُهُ، جَاءَتْ بِه أُمُّهُ الرُّميصَاءُ إلى النَّبيِّ ﷺ وهُوَ ابنُ عشرِ سنينَ، وقَالتْ لهُ: هَذا غُلامٌ يَخدمُكَ. فقبِلَهُ النَّبيُّ ﷺ، وسمَّاهُ أَبَا حمزةَ، فظَلَّ أنسٌ معَ النَّبيِّ ﷺ عشرَ سنِينَ، وشَهِدَ معَهُ ثَمانِي غَزواتٍ، وكَانَ النَّبيُّ ﷺيُحبُّهُ ويُقرِّبُهُ إليه.

وقَدِ اشتُهِرَ أنسٌ ﷺ بِالعلمِ وَالفقه، رَوَى عنْهُ رِجالُ الحديثِ ٢٢٨٦حَديثًا، ودعَا لَهُ النَّبيُّ ﷺ قائلاً: "اللَّهمَّ أكثرْ مَالَهُ وولدَهُ"[مسلم]. فصارَ لَهُ مَالٌ كثيرٌ، وبَلغَ أبناؤُهُ وَأحفادُهُ أكثرَ مِنْ مِئةٍ في حياتِه، وقَدْ رَحلَ إلى دمشقَ، وتُوِّفيَ بِالبصرةِ بالعراقِ، فَلمَّا مَاتَ قالَ أَهلُ البَصرةِ: ذَهبَ اليومَ نصفُ العِلْمِ.

وَفي هذَا الكتابِ تتَعرَّفُ علَى سِيرةِ الصَّحابيِّ الجليلِ، أَبِي حمزةَ، أَنسِ بنِ مَالكٍ ﷺ.

❊ ❊ ❊

مَولدُ أنسٍ وَإسلامُهُ

وُلِدَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ بِالمدِينةِ المنوَّرةِ قَبْلَ هِجرةِ الرَّسُولِ ﷺ بعشرِ سِنينَ (٦١٢م)، في أُسرةٍ عَريقةٍ، فَأَبُوهُ هُوَ مَالكُ بنُ النَّضْرِ بنِ النَّجَّارِ، وأُمُّهُ الرُّميصَاءُ أُمُّ سُليمٍ بنتُ ملحَانَ الأَنصاريَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها.

وَقدْ تَعلَّمَ أنسٌ القراءةَ والكتابةَ، ونشأَ علَى حُبِّ الفروسيَّةِ وَالقتالِ، ورَأَى مُصعبَ بنَ عميرٍ ﷺ وهُوَ يَدعُو النَّاسَ بالمدِينةِ إلى الإسلامِ قَبْلَ هِجرةِ النَّبيِّ ﷺ.

وقَدْ أسلمَ أنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ وهُوَ صغيرُ السِّنِّ، وكانَ يُحبُّ عَمَّهُ أنسَ بنَ النَّضرِ حبًّا شديدًا، وتَأَثَّرَ بهِ في حُبِّهِ لِلإسلامِ، رَغْمَ أَنَّ أَبَاهُ مَالكَ بنَ النَّضرِ مَاتَ كافِرًا، ولَكنَّ أنسًا لَمْ يتأَثَّرْ بِذلكَ، بَلْ عاشَ معَ أُمِّهِ الرُّميصَاءِ، وَوَرِثَ عَنهَا حُبَّ الإسلامِ وَالتَّفانِي في خِدمةِ رسُولِ اللهِ ﷺ، وَالعملَ علَى رَايةِ الإسلامِ في المدِينةِ المنوَّرةِ وفي غيرِهَا مِنْ بقاعِ الأرضِ.

❊ ❊ ❊

هَدِيَّةٌ مَقبُولَةٌ

كَانَ أنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ غُلامًا صَغيرًا، يَعيشُ معَ أُمِّهِ الرُّميصَاءِ أُمِّ سُليمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها، وكَانَا مُسلمينِ، فَلمَّا هَاجَرَ النَّبيُّ ﷺ إلى المدينةِ أسرعَ إليهِ الأنصَارُ يقدِّمُونَ مَا يَستطيعونَ منَ الهدَايَا وَالعطَايَا، ولَمْ تكُنْ أُمُّ سُليمٍ تَملكُ شَيئًا، فَأخذَتِ ابنَها أنسًا مِنْ يدِهِ، وذَهبتْ بهِ إلى النَّبيِّ ﷺ وقَالتْ لهُ: يَا رسُولَ اللهِ، لَمْ يبقَ رَجلٌ وَلا امرأةٌ مِنَ الأنصارِ إلا وقَدْ تحفَكَ بتحفةٍ، وَإنِّي لا أَقدرُ علَى مَا أتحفُكَ بهِ إلا ابنِي هذَا، فخُذْهُ، فَليخدمَكَ مَا بَدا لكَ، فَهُوَ غُلامٌ كَيِّسٌ كَاتبٌ.

فقَبِلَ منهَا النَّبيُّ ﷺ تلكَ الهديَّةَ، فَبَقِيَ أنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ معَ النَّبيِّ ﷺ يخدمُهُ في السَّفرِ وَالحضرِ، يقولُ أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ: خَدمتُ رسولَ اللهِ ﷺ عشرَ سنينِ في السَّفرِ وَالحضرِ، وَاللهِ مَا قالَ لي لِشيءٍ صَنعتُهُ لِمَ صَنعتَ هذَا هكذَا؟ وَلا لِشيءٍ لَمْ أَصنعْهُ لِمَ لَمْ تَصنعْ هذَا هَكذَا؟

وقدِ امتلأَ قلبُ أنسٍ ﷺ بِحُبِّ النبيِّ ﷺ، فهَا هُوَ يقولُ: مَا مِنْ لَيلةٍ إلا وأنَا أَرَى فِيهَا حَبِيبي (يَقصدُ رسُولَ اللهِ ﷺ).

وَقدْ أَحبَّتْ أُسرةُ أنسٍ رسُولَ اللهِ ﷺ حُبًّا شديدًا، وكَانتْ لأسرتِه في قَلبِ رسُولِ اللهِ ﷺ منزلةٌ خَاصَّةٌ، فَأُمُّهُ الرُّميصاءُ أُمُّ سُليمٍ، وخَالتُهُ أُمُّ حَرامٍ بنتُ ملحانَ، وعمُّهُ أَنسُ بنُ النَّضرِ بَطلُ أُحُدٍ، وعمَّتُهُ الرَّبيعُ بنتُ النَّضرِ.

وكَانَ أنسٌ ﷺ نِعْمَ الخادمُ الأَمينُ، يَحفظُ سِرَّ رسُولِ اللهِ ﷺ، فهَا هُوَ ذَا ﷺ يَقولُ: أَسرَّ إليَّ رسُولُ اللهِ ﷺ سِرًّا، فمَا أَخبرتُ بِهِ أَحدًا، ولَقَدْ سَألتنِي عَنْهُ أُمُّ سُليمٍ فمَا أَخبرتُهَا بِهِ.

وكَانَ النَّبيُّ ﷺ يُحبُّ أنسًا، ويُقرِّبُهُ إليهِ، ويُمَازحُهُ، فلَقَدْ قالَ لَهُ يَومًا: "يَا ذَا الأُذنينِ"[أبو داود والترمذي].

دُعاءٌ مُستجابٌ

حَظِيَ أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ بِدعوةٍ مُستجابةٍ دعَاهَا لَهُ النَّبيُّ ﷺ، فقَدْ كَانَ ﷺ يَزورُ أَنسًا وَأهلَهُ مِنْ وقتٍ لآخرَ، فَذهبَ يَزُورُهُمْ ذَاتَ يَومٍ، فَلمَّا جَلسَ ﷺ قَامَتْ أُمُّ سُليمٍ وأحضرَتْ لَهُ بعضَ التَّمرِ وَالسَّمنِ حتَّى يَأكلَ منهُ، وَلكنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ صَائمًا، فَقالَ ﷺ: "أعيدُوا تَمركُمْ في وَعائِكُمْ، وسَمنَكُمْ في سِقائِكُمْ، فإنِّي صَائمٌ".

ثُمَّ قَامَ رسولُ اللهِ ﷺ في نَاحيةِ البيتِ، فَصلَّى ركعتينِ، ثُمَّ دَعَا لأُمِّ سُليمٍ وأَهلِ بَيتِهَا..

فَقالتْ أُمُّ سليمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها: يَا رسُولَ اللهِ، إِنَّ لي خُوَيصَةً (شيئًا خَاصًّا).

فقالَ ﷺ: "ومَا هِيَ؟" قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنسٌ، فَادعُ اللهَ لَهُ.

فَأخذَ النَّبيُّ ﷺ يَدعُو لأنسٍ، فمَا تَركَ خَيرَ آخرةٍ وَلا دُنيَا إلا دعَا لَهُ بِهِ، ثُمَّ قالَ ﷺ: "اللَّهمَّ ارزقْهُ مَالاً وَولدًا وبَارِكْ لَهُ فِيهِ"[البخاري].

وَفِي رِوايةٍ: "اللَّهمَّ أكثِرْ مَالَهُ وولدَهُ وَأطلْ عُمْرَهُ واغفِرْ ذَنبَهُ"[ابن سعد].

فَاستجابَ اللهُ ﷻ دُعاءَ النَّبيِّ ﷺ، حتَّى رَأَى أنسٌ مِنْ أولادِهِ وأَحفادِهِ أكثَرَ مِنْ مِئةِ شَخصٍ، وكَانَ عندَهُ بُستانٌ يُثمرُ في السَّنةِ مَرَّتينِ، وعَاشَ حتَّى تَجاوزَ عُمْرُهُ مِئةَ عَامٍ، وكَانَ يَقولُ: ولَقَدْ بَقِيتُ حتَّى سَئِمْتُ الحياةَ، وأَنَا أرجُو الرَّابعةَ (وَهِيَ أنْ يَغفرَ اللهُ لَهُ ذَنبَهُ).

❊ ❊ ❊

جِهادُ أَنسٍ

شَارَكَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ أَيَّامَ النَّبيِّ ﷺ وَبعدَهُ، فقدْ صَحِبَ أَنسٌ ﷺ النَّبيَّ ﷺ أَتمَّ الصُّحبةِ، ولازمَهُ أكملَ الملازمةِ مُنذُ هَاجرَ ﷺ، وغزَا مَعَهُ ثَمانِي غَزواتٍ.

وكَانَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ مِنَ الذينَ بَايُعوا تَحتَ الشَّجرةِ يَومَ الحديبيةِ، وشَهِدَ لَهُمُ اللهُ ﷻ بالرضوَانِ، قالَ تعَالَى: ﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح: ١٨].

وقَدْ سُئِلَ أَنسٌ ﷺ: أَشهِدتَ بَدرًا (أي: هَلْ حَضرتَ غزوةَ بدرٍ؟) فقالَ: وَأينَ أَغيبُ عنْ بَدرٍ.

وقدْ خَرجَ أنسٌ ﷺ في غَزوةِ بَدرٍ وهُوَ غُلامٌ صغيرٌ، يَخدمُ النَّبيَّ ﷺ، ولَمْ يَعُدَّهُ المؤرِّخُونَ وأَصحابُ المغَازي في البَدرِيينَ لِكونِهِ حَضرَهَا صَبِيًّا، ولَمْ يُقاتلْ فِيهَا، بَلْ بَقِيَ في رِجالِ الجَيشِ.

وقَدْ شَارَكَ أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ في حُروبِ الردَّةِ في عَهدِ أَبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، وكَانَ ممَّنْ حَضَرَ موقعةَ اليمَامة، كمَا شَهِدَ ﷺ الفتُوحات في عهد عُمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ، ثُمَّ في عَهدِ عُثمانَ بنِ عفَّانَ ﷺ، ثُمَّ معَ مُعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهما.

عِبادةٌ..وَتقوَى

كَانَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ مِنْ أكثرِ النَّاسِ عبادةً لله ﷻ، وَمِنْ أَعظمِهِمْ تَقوًى وَوَرعًا، قَالَ عَنْهُ أَبُو هُريرةَ ﷺ: مَا رَأيتُ أَحدًا أَشبَهُ بِصلاةِ رسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ابنِ أُمِّ سُليمٍ (يَعنِي أَنسَ بنَ مَالكٍ ﷺ).

وقَالَ أَنسُ بنُ سيرينَ رحمَهُ اللهُ: كَانَ أَنسُ بنُ مالكٍ ﷺ أَحسنَ النَّاسِ صَلاةً في الحَضرِ وَالسَّفرِ.

وكَانَ ثُمامةُ ـ رحمَهُ اللهُ ـ يَقولُ: كَانَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ يُصلِّي حتَّى تُفَطَّرَ قَدمَاهُ دَمًا، ممَّا يُطيلُ القِيَامَ.

وقَالَ الجَرِيرِيُّ رَحمَهُ اللهُ: أَحرَمَ أَنسُ بنُ مالكٍ ﷺ مِنْ ذَاتِ عرقٍ، فَمَا سَمعنَاهُ مُتكلِّمًا إِلا بذكرِ اللهِ حتَّى حَلَّ إِحرامَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا ابنَ أَخِي، هَكذَا الإِحرَامُ.

وكَانَ معَ أَنسِ بنِ مَالكٍ ﷺ خَاتمٌ مِنْ فِضَّةٍ، وقَدْ نقشَ عَليهِ "مُحمَّدٌ رسُولُ اللهِ"، فَكانَ إذَا دخَلَ الخلاءَ نَزعَهُ مِنْ يدِهِ وتركَهُ خَارجَ الخَلاءِ حتَّى يخرجَ.

وكَانَ أنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ يَصومُ رمضانَ رَغْمَ أَنَّهُ قَدْ تَجاوزَ المِئةَ مِنْ عُمرِهِ، وفي آخرِ سَنةٍ لَهُ ضَعُفَ عَنْ تَحمُّلِ الصيامِ، ولَمْ يستطعِ الصومَ، فَلمَّا عَرفَ أَنَّهُ لا يَطيقُ القضاءَ بعدَ رمضانَ أمرَ بجفَانٍ مِنْ خُبزٍ ولَحمٍ، ودَعَا ثَلاثينَ مِسكينًا، فَأطعمَهُمْ، فَقضَى بِذلكَ مَا عَليهِ ثُمَّ زَادَ وَأكثَرَ مِنْ إطعامِ المسَاكينِ.

وكَانَ أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ مِنْ أكثرِ النَّاسِ رِوايةً لِحديثِ الرَّسُولِ ﷺ، ومِنْ أعظمِ النَّاسِ حِفظًا، ورَغمَ ذَلكَ كَانَ يَخافُ أَنْ ينطقَ بحرفٍ أو كلمةٍ لَمْ يقلْهَا النَّبيُّ ﷺ، لِذلكَ كَانَ ﷺ إذَا حَدَّثَ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ يَقولُ في نهايةِ الحديثِ: أو كمَا قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ.

وكَانَ أَنسُ بنُ مالكٍ ﷺ يَقولُ: لا يَتَّقِي اللهَ عَبدٌ حتَّى يحزنَ مِنْ لِسانِهِ (أي: يُقلِّلَ الكلامَ في غيرِ ذكرِ اللهِ وَالمنفَعةِ).

❊ ❊ ❊

صَلاةٌ..وكرامَةٌ

أَكرمَ اللهُ ﷻ أَنسَ بنَ مالك ﷺ بكرامةٍ عظيمةٍ واضحةٍ، حَيثُ كانَ لَدَى أنسٍ ﷺ بُستانٌ، فَلمَّا جَاءَ فصلُ الصَّيفِ امتنعَ المطرُ، وكَادَ البستانُ يَموتُ مِنْ شِدَّةِ العَطشِ..

وكانَ أَحدُ العبيدِ يَقومُ عَلى خدمةِ ذلكَ البستانِ، فَذهبَ إلى أنسٍ ﷺ، وشَكَا لَهُ مِنْ شِدَّةِ العطشِ، وأخبرَهُ أَنَّ البستانَ كادَ يموتُ زرعُهُ، فَطلبَ أَنسٌ ﷺ أَنْ يحضرُوا لَهُ مَاءً، فَأحضرُوهُ لَهُ، فقامَ فَتوضَّأَ، وَوقفَ يُصلِّي، فَصلَّى ركعتينِ، ثُمَّ قالَ لِخادمِهِ: هَلْ تَرى شَيئًا؟

فَقالَ الخادمُ: مَا أَرَى شَيئًا.

فَدخلَ أَنسٌ ﷺ، فَصلَّى ركعتينِ، ثُمَّ سَألَ الخَادمَ: هَلْ تَرى شَيئًا؟ فقالَ الخَادمُ: مَا أَرَى شَيئًا.

فَصلَّى أَنسٌ ركعتينِ، ثُمَّ سَألهُ للمرَّةِ الثَّالثةِ: هَلْ تَرى شَيئًا؟ فقالَ الخَادمُ: نَعَمْ، أَرَى جناحَ الطَّيرِ مِنَ السحَابِ.

فدخلَ أَنسٌ ﷺ فَصلَّى، ثُمَّ دعَا اللهَ ﷻ أَنْ يُنْزِلَ المطرَ. فَدخلَ عليهِ الخَادمُ يقولُ: قَدْ استَوتِ السَّمَاءُ وأمطرَتْ.

فقالَ لَهُ أَنسٌ ﷺ: اركَبِ الفرسَ، فَانظُرْ أينَ بلغَ المطرُ.

فركِبَ الخَادمُ الفرسَ، فَنظرَ فإذَا المطرُ لَمْ يُجاوزْ بستانَ أَنسٍ إلا قَلِيلاً.

أَمِينُ الصَّدَقَاتِ

كَانَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ مَشهورًا بِأمانته وَوفائه، فَلمَّا تَولَّى أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ خلافةَ المسلمينَ أَرسلَ إلى أَنسِ بنِ مالكٍ ﷺ مِنْ أَجلِ أَنْ يَبعثَهُ إلى البَحرينِ كَي يَجمعَ الصَّدقَاتِ مِنْ أَهلِهَا، وَقبلَ أَنْ يَأتيَ أَنسٌ ﷺ أَبَا بَكرٍ دخَلَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ، فقالَ لَهُ أَبُو بَكرٍ ﷺ: يَا عُمرُ، إِنِّي أُريدُ أَنْ أبعثَ أنسًا علَى البَحرينِ، وهُوَ فَتًى شَابٌ.

فَقالَ لَهُ عُمرُ ﷺ: ابعثْهُ، فَإِنَّهُ لَبيبٌ (ذَكيٌّ) كَاتبٌ (يعرفُ القراءةَ والكتابةَ).

فَلمَّا دَخَلَ أَنسٌ ﷺ أَرسلَهُ أَبُو بكرٍ إلى البَحرينِ، فظَلَّ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ في البَحرينِ حتَّى تُوفِّيَ أَبُو بكرٍ ﷺ، وتولَّى عُمرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ خلافةَ المسلمينَ، فقَدِمَ أَنسُ بنُ مالكٍ ﷺ مِنَ البَحرينِ، فَلمَّا دَخَلَ إلى عُمرَ ﷺ

قَالَ لَهُ عُمرُ: هَات مَا جِئتَ بِه. فقالَ أنسٌ: يَا أَميرَ المؤمنينَ، البَيعةُ أَوَّلاً. فَبسطَ يَدَهُ، فَبايعَ عُمرَ خَليفةً لِلمسلمينَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمرُ: يَا أَنسُ، أَجئتَنَا بظَهرٍ (أي: ركائبَ)؟ فقالَ أنسٌ: نَعَمْ. فقالَ عُمرُ: جئنَا بِه، وَالمالُ لَكَ. فقالَ أَنسٌ: هُوَ أكثرُ مِنْ ذلكَ. فقالَ عُمرُ: وَإِنْ كانَ، فَهُوَ لكَ. فَأعطَاهُ أنسٌ ﷺ الرَّكائبَ وَأخذَ المالَ بِأمرِ أميرِ المؤمنينَ، وكانَ مقدارُ هذَا المالِ أَربعةَ آلافِ دِرهمٍ.

مَكانةٌ عَاليةٌ

كَانَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ يَسكنُ البصرةَ بِالعراقِ، وكَانَ أَميرَ البَصرةِ آنذاكَ هُوَ الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقفِيُّ، فَراحَ يُضَايقُ أَنسًا ويُعَرِّضُ بِه، فَلمَّا رَأَى أَنسُ بنُ مالكٍ ﷺ ذَلكَ كتبَ رِسالةً إلى الخليفةِ الأُمويِّ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، قالَ لَهُ فِيهَا: قَدْ خَدمتُ رسُولَ اللهِ ﷺ تسعَ سِنينَ، وَإِنَّ الحَجَّاجَ يُعَرِّضُ بِي.

فَلمَّا وَصلَتِ الرِّسالةُ إلى عبدِ الملكِ وَقرأَهَا، دعَا الكاتبَ، وقالَ لَهُ: اكتُبْ إلى الحَجَّاجِ: ويلكَ، قدْ خَشيتَ

أنْ لا يَصلحَ علَى يَدِي أَحدٌ، فإذَا جَاءَكَ كتابي فَقُمْ إلى أَنسٍ ﷺ حتَّى تَعتذرَ إليه. فَلَمَّا وصلت الرِّسالةُ إلى الحَجَّاجِ قالَ: سَمعًا وطَاعةً، وقَامَ يُريدُ الذِّهابَ إلى أَنسٍ ﷺ، فقالَ لَهُ أَحدُ غِلمَانِه: إنْ شئتَ أَعلمتُهُ. فَوافقَ الحَجَّاجُ، فَذهبَ الغُلامُ إلى أنسٍ ﷺ وقَالَ لَهُ: أَلا تَرَى الحَجَّاجَ، قدْ خَافَكَ، وأَرادَ أَنْ يَجيءَ إليكَ، فَقُمْ إليه. فَذَهبَ إليه أَنسٌ ﷺ، فَلمَّا أَتَاهُ قَامَ إليه الحَجَّاجُ، ورَحَّبَ بِه، وأَجلسَهُ وَقالَ لَهُ: يَا أَبَا حَمزةَ، غَضِبْتَ؟ فَقالَ أَنسٌ ﷺ: نَعَم. فَاعتذرَ لَهُ الحَجَّاجُ وَقبَّلَ يَدَهُ، وطَلَبَ مِنْهُ أنْ يُسامحَهُ، فَسامحَهُ أَنسٌ ﷺ.

عِلْمٌ.. وَسِتْرٌ

اُشتُهِرَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ بِالعِلمِ الغَزيرِ، وَالفقهِ، والتَّبحُّرِ في علومِ الدِّينِ، وَرَوى كثيرًا من أَحاديثِ الرَّسُولِ ﷺ، فقدْ بَلغَ مُسندُهُ ٢٢٨٦ حَديثًا، اتَّفقَ لَهُ البُخاريُّ ومسلمٌ علَى ١٨٠ حَديثًا، وَانفردَ البُخاريُّ بـ٨٠ حَديثًا، ومسلمٌ بـ ٩٠حَديثًا. وَمِمَّا يَدلُّ علَى عِلمِهِ الغَزيرِ أَنَّهُ قالَ لِثابتٍ البنَانِيِّ: يَا ثَابتُ، خُذْ عنِّي، فإنَّكَ لَنْ تَأخذَ عنْ أَحدٍ

أَوثقَ مِنِّي، إِنِّي أَخذتُهُ عنْ رسُولِ اللهِ ﷺ عنْ جِبريلَ، وَأخذَهُ جِبريلُ عَنِ اللهِ ﷻ.

وكَانَ أَنسُ بنُ مَالكٍ ﷺ يُحبُّ السِّترَ علَى المسلِمينَ، فَيروَى أَنَّ صَالحَ بنَ كرزٍ جَاءَ بجاريةٍ لَهُ زَنَتْ إلى الحكمِ بنِ أَيُّوبَ، وَبينَمَا هُوَ جَالسٌ إِذْ جَاءَ أَنسٌ ﷺ، فَجلسَ فقالَ: يَا صالِحُ، مَا هذِهِ الجَاريةُ معَكَ؟ فقالَ صَالحٌ: جَاريةٌ لي بَغَتْ فَأردتُ أَنْ أَرفعَهَا إلى الإمامِ لِيُقيمَ عَليهَا الحدَّ. فقالَ لَهُ أَنسٌ: لا تفعَلْ، وَرُدَّ جَارِيتَكَ، وَاتَّقِ اللهَ، وَاسترْ عَليهَا، فقالَ صَالِحٌ: مَا أَنَا بفاعلٍ. فقالَ أَنسٌ: لا تَفْعلْ وَأطعنِي.. وَلَمْ يَزَلْ يُراجعُهُ حتَّى رَدَّهَا وَسترَ عَليهَا.

وفَاةُ أَنسٍ

ظَلَّ أَنسُ بنُ مالكٍ ﷺ في البَصرةِ حتَّى مَرِضَ وشعرَ بدنوِّ أَجلِهِ، وكَانَ ذلكَ في خِلافةِ الوَليدِ بنِ عبدِ الملكِ، سنةَ ٩٣هـ (٧١٢م)، فَطلبَ مِنْهُ أَهلُهُ أَنْ يأتُوا لَهُ بطبيبٍ، فقالَ لَهُمْ أَنسٌ: الطَّبيبُ أَمرَضَني. ثُمَّ أوصَى أَنْ يُغسِّلَهُ مُحمدُ بنُ سِيرينَ ويُصلِّي عَليهِ، وكَانَ مُحمدٌ مَحبوسًا،

فَذهبُوا إلى الأَميرِ، وهُوَ يَومئذٍ رَجلٌ مِنْ بَنِى أُسيدٍ، فَأذنَ لَهُ، فَخرجَ مُحمدُ بنُ سِيرينَ مِنَ الحبسِ، وذَهبَ إلى أَنسٍ، فَوجدَهُ يلفظُ أَنفاسَهُ، وقدْ طَلَبَ مِمَّنْ حَولَهُ أَنْ يُلقِّنُوهُ: لاَ إِلَهَ إلا اللهُ مُحمدٌ رسُولُ اللهِ.

فَلمَّا مَاتَ أَنسُ بنُ مالكٍ ﷺ قَامَ مُحمدُ بنُ سِيرينَ فَغسَّلَهُ وكفَّنَهُ وصلَّى عَليهِ في قَصرِ أَنسٍ بالبصرةِ، ثُمَّ رجعَ مُحمدٌ إلى السجنِ ولَمْ يَذهبْ إلى أَهلِهِ.

وكَانَ أَنسٌ ﷺ آخرَ مَنْ مَاتَ من أَصحابِ النَّبيِّ ﷺ بِالبَصرةِ، وقدْ بَلغَ عُمْرُهُ يومَ وفَاتِهِ مِئةً وثَلاثَ سِنينَ، ولَمَّا مَاتَ قالَ أَهلُ البَصرةِ: ذَهبَ اليومَ نصفُ العِلْمِ. وذَلِكَ لأَنَّهُمْ كَانُوا يَرجِعُونَ إليهِ في كُلِّ مَا اختلَفُوا فِيهِ منْ حَديثِ رسُولِ اللهِ ﷺ.

رَحِمَ اللهُ أَنسَ بنَ مَالكٍ ﷺ، وجزَاهُ عنِ الإسلامِ وَالمسلِمينَ خَيرَ الجزَاءِ.

❊ ❊ ❊